فاقها جميعا من حيث الاهمية — ومع هذا كان الافتراض الذي آمن به الغرب والاسرائيليون بمزيد من الثبات واليقين . كان هذا هو الاعتقاد بأن نظرة العرب الى ما يشكل «عقلانية» في النزاع العربي — الاسرائيلي هو نفسه الذي يفهمه الاسرائيليون والغربيون . ومن هنا عدم التصديق التام من جانب الزعماء الاسرائيليين بأن مصر وسوريا شنتا هجوما كبيرا بالفعل ! ولا بد من الافتراض بأن قول رئيسة الوزراء الاسرائيلية السابقة غولدا مئير بأن العرب « مجانين » لكونهم ابتدأوا حربا كهذه كان قولا « صادقا » وقد رددته تكرارا مراقبون اسرائيليون وغربيون آخرون(١٠). وقبل اندلاع الحرب اتخذ هذا التوكيد شكل انذارات ، تهدد العرب بنكبات جديدة لا حد لها. وكان الهدف ثلاثيا : (١) لتطمين المرء وتطمين شعبه الى القوة العسكرية الهائلة للدولة الاسرائيلية — وبالتالي الى أمن السكان والمهاجرين المقبلين ، (٢) لاقناع الغرب بأنه من غير المحتمل نشوب حرب كبيرة في المنطقة وبالتالي لا داعي للغرب ، وبخاصة للولايات المتحدة ، بأن يضغط على اسرائيل لاجبارها على القيام بأية تنازلات او تسويات ، (٣) لترويع العرب بالتهديد ومنعهم من القيام بأي عمل ودفعهم الى تجنب القتال كوسيلة لاستعادة بعض اراضيهم او كلها .

وقد بثت الرسالة فوصلت بصوت مرتفع واضح . ولم يكن ثمة مجال لفجوة في الاتصال هنا . بيد انه لم يكن للرسالة الوقع الذي كان قد توقعه الاسرائيليون وانصارهم الغربيون . فوفقا لطريقة تفكيرهم ، على ما يبدو ، اذا كانت النتيجة النهائية للحرب معروفة سلفا معرفة يقينية واذا كانت تعني كارثة أكيدة وكبرى لاحد الجانبين ، فان ذلك الجانب سيكون « مجنونا » اذا ابتدأ معركة في ظروف كهذه . ولذا كان الاستنتاج الذي توصل اليه الغرب واسرائيل هو ان العرب **لن** يخوضوا حربا لانهما افترضا بأنهم ليسوا « مجانين » .

ولا حاجة الى القول ان العرب كانوا وما يزالون سليمي العقل تماما . الا ان بعض مواقفهم وسلوكهم يختلف ، بالطبع ، عن المواقف والسلوك التي توجد في الثقافات الغربية — ولهذا الامر تأثيره على الطريقة التي يتصرف العرب بها في حالة نزاع . وانه بالفعل لتعقيب كئيب على الدراسات الغربية حول العرب والشرق الاوسط بوجه عام ان تكون كل هذه الاساطير الخاطئة والمضللة الكثيرة قد نشأت او سمح لها بالاستمرار . وهكذا فانه بالفعل أمر « منطقي » و « عقلاني » في الغرب الا يقدم شخص ضعيف على بدء قتال مع فرد أقوى منه بكثير ، حتى عندما يشعر الاول ان الحق والعدل الى جانبه . غير ان هذا السلوك ليس « منطقيا » ولا « عقلانيا » في العالم العربي . ولذا اذا شعر الشخص او قيادة بلد من البلدان انهما تعرضا لخدعة او معاملة سيئة او لافتراء واهانة بوجه عام ، فان الشرف والواجب و « المنطق » تملي عليهما انْ يقاتلا ، بصرف النظر عن النتيجة ، وبكلام آخر انه من « الافضل » ، أي انه أكثر « منطقية » و « عقلانية » ، في حالة كهذه ، ان يقاتل المرء وينهزم من ان لا يقاتل على الاطلاق(١١). ولو كان الامر خلاف ذلك لكان تم قمع الفلسطينيين منذ عهد بعيد نظرا الى رجحان الكفة كثيرا ضدهم . كما ان هذا يفسر اخفاق سياسة القوة التي تنهجها اسرائيل بوصفها اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب . على انه في هذه الحال قد يكون الذين يسمون صقورا اسرائيلية ، بقيادة ديفد بن غوريون وموشي دايان وغولدا مئير ، قد فهموا سيكولوجيا العرب فهما حسنا . واذا صح هذا فان استراتيجية « العنف بوصفه اللغة الوحيدة » **لا** يقصد بها انهاء النزاع بل زيادته حدة وتزويد اسرائيل بفرصة للمزيد من التوسع والفوائد الاخرى .